JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ
العدد الحادي والاربعون
(٤٢٩) (٤٤٧)

انشطار الهوية وتفكك الزمن، رواية صديقي المترجم لخضير فليح الزيدي أنموذجا

م. د رقية هادي محمد
مديرية تربية ديالى
Rhady710@gmail.com

المستخلص:

يعكس تشظي الزمن تفكك الهوية ولا يمكن عده أسلوباً سرديا بحتاً، بل يمثل علاقة جدلية تتجسد بشكل الهوية، فكلما تفكك الزمن وتصدعت منظومته الكرونولوجية، اتسعت شروخ الهوية وبالعكس، لقد تصدت هذه الدراسة لهذه الظاهرة السردية وسعتْ إلى استقراء هذا المفهوم وتتبع منعطفاته الثقافية، والسوسيولوجية في رواية (صديقي المترجم) الزاخرة بهذا النوع من التحولات الثيمية والفنية. تُعد إشكالية انشطار الهوية وتفكك الزمن من أكثر القضايا عمقًا في الخطاب الروائي المعاصر حيث انتقلت الهوية من حالتها الأولى باعتبارها كيانًا ثابتًا مستقلًا إلى مفهوم إشكالي وبنية حيوية تتقاطع فيها النواحي النفسية والاجتماعية والسياسية، فكانت هذه الإشكالية حافزًا للغوص في هذه العلاقة الجدلية الرابطة بين التصدعات في البنية الزمنية وشروخ الهوية في الذات المتشظية، يتناول البحث مفهوماً مركزياً يقوم على الهوية المنشطرة إلى جانب الزمن المفكك، إذ يمثل هذان العنصران مفتاحاً لفهم الكثير من الأعمال الادبية التي تهدف إلى تمثيل الواقع الإنساني الملتبس والكشف عن العلاقات المعقدة التي تربط بين انشطار الهوية وتفكك الزمن في التجربة الإنسانية المتمثلة بالنصوص الروائية والتعبير عنها بطريقة أكثر دقة وشمولية. ويمكن ان تمثل رواية صديقي المترجم لخضير فليح الزيدي انموذجاً مناسباً للكشف عن هذه العلاقة التفاعلية، والإجابة عن التساؤل الذي تطرحه الدراسة وهو كيف تسهم التحولات الزمنية في الكشف عن انشطار الهوية؟ تحاول الدراسة الإجابة عن هذا التساؤل والاسهام في الانفتاح على هذه العوالم العميقة في النص الروائي ليتمكن المتلقي من فهم الدلالات المضمرة خلف الأنساق اللغوية والصياغات البنائية للنصوص الروائية عامة ورواية صديقي المترجم تحديدًا.

الكلمات المفتاحية: انشطار الهوية، تفكك الزمن، صديقي المترجم.

The fragmentation of identity and the disintegration of time: a model in my translator friend Khudhair Faleh Al-Zaidy's novel

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

Dr. Ruqayya Hadi Muhammad
Directorate of Education – Diyala
Rhady710@gmail.com

Abstract

The fragmentation of time reflects the disintegration of identity and cannot be regarded as a purely narrative technique; rather, it represents a dialectical relationship embodied in the very structure of identity. The more time disintegrates and its chronological order collapses, the wider the fractures within identity become, and vice versa. This study addresses this narrative phenomenon and seeks to examine the concept and trace its cultural and sociological turns in the novel My Friend the Translator, which abounds in this type of thematic and artistic transformation. The problematic of fractured identity and fragmented time is among the most profound issues in contemporary fictional discourse. Identity has moved beyond its earlier conception as a fixed and autonomous entity to become a problematic concept and a dynamic structure in which psychological, social, and political dimensions intersect. This problematic has therefore served as a motivation to explore the dialectical relationship linking disruptions in temporal structure with fractures of identity in the fragmented self. The study examines a central concept based on fractured identity alongside fragmented time, as these two elements constitute a key to understanding many literary works that seek to represent the ambiguities of human reality and reveal the complex relations connecting fractured identity and fragmented time in human experience, as embodied in fictional texts, and to express them in a more precise and comprehensive manner. The novel My Friend the Translator by Khudair Faleh Al-Zaydi may serve as an appropriate model for uncovering this interactive relationship and for answering the question posed by the study: How do temporal transformations contribute to revealing fractured identity? The study attempts to answer this question and to contribute to opening up these profound worlds within the fictional text, enabling the reader to grasp the implicit meanings embedded behind linguistic patterns and structural formulations in novels in general, and in My Friend the Translator in particular.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

Keywords: fractured identity, temporal fragmentation, My Friend the Translato.

المقدمة

تظل الرواية عبر تاريخها الطويل الشكل الأدبي الأكثر بروزاً وقدرة على استيعاب التجربة الإنسانية، والتعبير عن تعقيداتها والتحديات التي تواجه الإنسان في سياق التحولات السوسيولوجية المتسارعة، لاسيما في القرنين العشرين والحادي والعشرين، إذ شهدت هذه الحقبة الزمنية تغييرات جذرية في البنى الاجتماعية والسياسية والتكنولوجية، ما ألقى بظلاله وبشكل واضح على كيفية إدراك الإنسان لنفسه وللعالم من حوله، فقد أثرت الثورة الصناعية ، والحروب العالمية، والتغييرات الكبيرة في عالم الاتصالات الرقمية في قدرة الفرد على بناء هوية متماسكة وتشكيل ملامح أساسية لفهم ذاته والعالم المحيط به. يتناول البحث مفهوماً مركزياً يقوم على الهوية المنشطرة إلى جانب الزمن المفكك، إذ يمثل هذان العنصران مفتاحاً لفهم الكثير من الأعمال الادبية التي تهدف إلى تمثيل الواقع الإنساني الملتبس والكشف عن العلاقات المعقدة التي تربط بين انشطار الهوية وتفكك الزمن في التجربة الإنسانية المتمثلة بالنصوص الروائية والتعبير عنها بطريقة أكثر دقة وشمولية. ويمكن ان تمثل رواية صديقي المترجم لخضير فليح الزيدي انموذجاً مناسباً للكشف عن هذه العلاقة التفاعلية، والإجابة عن التساؤل الذي تطرحه الدراسة وهو كيف تسهم التحولات الزمنية في الكشف عن انشطار الهوية؟ اقتضت الدراسة تقسيمها على ثلاثة مباحث اقتصر المبحث الأول على التأطير النظري لمفهومي الهوية المنشطرة والزمن المفكك، مشفوع بملخص للرواية عينة البحث، وتناول المبحث الثاني الدوافع والمؤثرات لانشطار الهوية والكشف عنها في متن الرواية، أما المبحث الثالث فقد اختص بالكشف عن الدوافع والمؤثرات لتفكك الزمن وتجلياتها في الرواية، واردفت بخاتمة أستُخلصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول/ الإطار النظري لمفهومي الهوية المنشطرة والزمن المفكك

١-مفهوم الهوية المنشطرة

لم تعد الهوية في عصرنا الحديث كياناً ثابتاً ومستقلاً، بل صارت مفهوماً إشكالياً ومجالاً خصباً لتقصي تحولات الذات الإنسانية في ظل عصر الحداثة والصراعات الثقافية والتاريخية والاجتماعية في حياة الفرد، فأصبحت الهوية الروائية بنية ديناميكية تتقاطع فيها الأبعاد النفسية والسياسية المعرفية، فالهوية ليست ثابتة بل تتحول بمرور الوقت وتحدث تغييرات عميقة في السلوك البشري، وان توافرت التراتبية بين عناصرها لدى كل إنسان (معلوف، ٢٠٠٤، صفحة ٢٤)، وفي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

هذا السياق تشكل الهوية المنشطرة أبرز تمظهرات هذه التحولات، إذ إنها تمثل انعكاساً لهذه التعقيدات والتجربة الوجودية التي يعيشها الإنسان أمام تهديدات التهميش والاغتراب، والانفصال عن الجذور والتعدد الثقافي التي تمثل امتداداً لتحولات ما بعد الحداثة وأثرها في الخطاب الروائي وتقويضها لجوهر الذات وأبرزها لهشاشتها وانقسامها الداخلي في مواجهة السرديات الكبرى، وتعكس هذه الهوية تمزقات الذات الإنسانية في مواجهة عالم متصدع، فهي لا تشير إلى تعدد الأوجه في الهوية الواحدة وإنما تبين حالة الانقسام والانشطار العميق للذات وتصارع الانتماءات والولاءات وتناقض القيم ما يفضي إلى اغتراب وجودي وأزمة في تعريف (الأنا)، فالذات كما عبر عنها د. سمير الخليل "كينونة إنسانية صغرى تتماهى مع ذات جمعية أكبر منها تتمثل بـ الهوية" (الخليل، ٢٠١٥، صفحة ١٥٢).

وترجع جذور مفهوم الهوية المنشطرة فلسفياً وأدبياً إلى بواكير الحداثة، إذ كان لاندحار السرديات الكبرى (الوطنية والدينية) أثر كبير في زعزعة اليقين بمفهوم الذات الموحدة، وقد لقي هذا القلق الوجودي صدارة في الأعمال الروائية، إذ عبرت عن هذا التشظي عبر منظورات متعددة ورواة غير موثوقين، واستخدام تقنية تيار الوعي للتعبير عن تفكك الذات والذاكرة والهوية.

ومع بزوغ ما بعد الحداثة، اكتسبت الهوية المنشطرة مكانة أخرى في العالم الروائي إذ أصبحت حالة طبيعية للوجود المعاصر في عالم تعددي لا مركزي مشبع بالإعلام ، إذ فقدت الهوية ثباتها وصارت بناء سائلاً ومؤقتاً. وقد لجأ الروائيون مع هذه الهويات المعقدة إلى ترسانة من التقنيات السردية المبتكرة لكسر القوالب التقليدية، وتوظيف السرد غير الخطي والقفز بين الأزمنة والأمكنة مما يعكس الذاكرة المبعثرة للشخصية.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد التفريق بين حالتين متقاربتين بالنسبة للهوية السردية وهما تشظي الهوية وانشطارها والتنوع الطبيعي للهوية ، إذ يتشكل النوع الثاني أي التنوع الهوياتي من اندماج الفرد في المجتمعات المختلفة والتعاطي مع ثقافاتها وآيديولوجياتها والتماهي معها مع الحفاظ على الهوية الأصلية وثباتها أمام المتغيرات الجديدة، أما التشظي في الهوية وتمزق الذات وانشطارها، فيقصد به أن ينقسم انتماء الفرد إلى جهتين مختلفتين وتتصارع ذاته بينهما وتتصدع الهوية وتتشظى منها هويات مختلفة، وغالباً يستمر هذا الصراع وتتفاقم تداعياته في روح الإنسان ويفقد الشعور الحقيقي بالاستقرار النفسي والثبات العاطفي والفكري، ويحل محله الشعور بعدمية الوجود ولا جدوى الحياة والعزلة والاغتراب، ويسعى في خضم هذا الواقع المأزوم إلى تحديد مساره وتخليص هذه الذات

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المنكوبة من الصدامات الثقافية والفكرية مع الآخر وإثبات وجوده والتماهي مع المجتمع في محاولة منه للتغاضي عما يعانيه من أزمات نفسية وقلق وجودي والانخراط في المجتمع والتفاعل معه بصورة طبيعية، ويمكن اكتشاف الهوية المنشطرة عبر نقاط مختلفة يمكن إيجازها بالآتي :

١-عدم التماسك السردي/ ويبرز عادة من خلال إيراد قصص مختلفة وأحداث لا تشكل نسيجاً سردياً متماسكاً ومن خلال تشظي الزمن وافتقاده إلى التراتبية والمسار الخطي للأحداث.

٢-تعدد الذوات/ إذ تشعر الشخصية السردية بأن لديها ذوات متعددة تتصارع داخلها ولا تعرف من هي حقاً.

٣-المعاناة النفسية/ ويبرز من خلال الشعور بالضياع، والقلق والضعف في تقدير الذات، مع صعوبة في تكوين العلاقات فتعيش الشخصية في عزلة عن العالم .

٢-مفهوم الزمن المفكك

يعد الزمن واحداً من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الرواية وتبني نسيجها السردي، غير أن التطورات التي شهدها الفن الروائي ألقى بظلاله على هذه البنية المستقرة دافعة بالروائيين نحو تفكيك الزمن، وإعادة تركيبه بأساليب مغايرة، وقد أشار الناقد الفرنسي جيرار جينيت إلى مفهوم الزمن في تقسيمه للزمن الروائي على قسمين؛ زمن القصة الذي يخضع للتابع المنطقي للأحداث، وزمن السرد الذي لا يتقيد بهذا التتابع المنطقي (لحمداني، ١٩٩١، صفحة ٧٣)، فالزمن السردي زمن حر لا يمكن تقييده بزمن القص، وعليه يمتلك الروائي حرية التلاعب بهذا الزمن وتغييره بما يتناسب مع ما يريد إيصاله إلى القارئ في النص الروائي، وصار الزمن السردي منذ مطلع القرن العشرين مادة سردية بحد ذاتها، إذ يستطيع الروائي صهر الزمن وتفكيكه وتشكيله ليعكس تعقيدات الوعي الإنساني وتداخلاته، ولا يعد هذا التفكيك الزمني مجرد تقنية شكلية يوظفها الروائي بل أصبحت ذات بعد فلسفي عميق ورؤية جديدة للعالم تتجاوز التصورات المادية للزمن نحو أبعاد نفسية ووجودية أكثر رحابة وأهمية في العالم الروائي.

وتتنوع أساليب تفكيك الزمن وتغيير تشكيلاته في الرواية بحسب مقتضيات النص وما يريد الروائي إيصاله إلى المتلقي ويمكن إيجازها في الرواية قيد البحث بالآتي :

١-تقنيات الاسترجاع والاستباق التي يلجأ إليها الروائي للخروج من خطية الزمن إلى تفكيكه والتلاعب به فالاستباق كما وصفه تودوروف بأنه الإعلان المسبق لما سيحدث (طودوروف، ١٩٩٠،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

صفحة ٤٨)، أما الاسترجاع بحسب جينيت فهو كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة (جينيت، ١٩٩٧، صفحة ٥١.).

٢-الإبطاء أو الوقفة وتقترن هذه التقنية بالوصف حيث إنه يبطئ السرد لأغراض مختلفة مثل الإثارة والتشويق أو توسيع زمن السرد للحظة معينة والامتداد الزمني في وصف تبعاتها وما تمر به الشخصيات فيها، ويقدم فضلا عن ذلك وظائف جمالية تضفي على الرواية قيمة فنية ودلالية.

٣-التشظي الزمني ويتمثل بانتهاك خطية الزمن التقليدية والدمج والتداخل بين العناصر بدون مراعاة لترتيب منطقي خاضع للسببية أو التتابع والعمل على تمزيق وحدتها لتحقيق الشعرية عبر بلاغة الانفصال والتشتيت والانزياحات الزمنية في السرد.

٤-وقد يعبر الزمن المفكك في النص الروائي عن الحالة النفسية والمعاناة التي تمر بها الشخصية وتلازمها فتعبر عن ذلك بقفزات زمنية بين أزمان مختلفة كناية عن حالة الشتات والقلق النفسي والصراعات الداخلية التي تحتدم داخلها فتكون هذه المناورات السردية في تقنية الزمن هي الوسيلة المثلى للإفصاح عمّا يختلج في النفوس ويفيض على سطور الرواية.

فالزمن من التقنيات التي تسهم في بناء نسيج السرد وتدبيجه وفي الوقت نفسه يمثل عاملاً مهماً في بلورة النزعات النفسية والتعبير عن وعي الشخصيات وإدراكها وإبراز التحولات السوسيولوجية التي تمر بها، ويكون التحول من الزمن الكرونولوجي الخطي الذي ينساب فيه السرد من البداية إلى النهاية إلى اللا تزامن أو البناء المتصدع للزمن الروائي وهو من تقنيات ما بعد الحداثة التي ينسلخ فيها النص الروائي من السياق التقليدي للبناء المتوازي بين الأحداث وتناوبها، والزمن وتدفقه الطبيعي المعتاد، ويكون توظيف التقنيات السردية الحداثية مثل تيار الوعي والمونولوجات مزيجاً بين عناصر سردية مختلفة مثل الحدث والزمن والشخصيات، ومدى التفاعل بينها لغرض النهوض بعمل سردي يحمل في متونه فيض من التقانات المحملة بالدلالات والمعاني الكبيرة لخدمة المتلقي وإيصال الرسالة التواصلية التي يرسلها الروائي.

٣-نبذة عن الرواية :

رواية صديقي المترجم للكاتب فليح خضير الزيدي صدرت عن دار حكاية للنشر والتوزيع سنة ٢٠٢٢، تحكي حكاية قاسم وهو رجل عراقي هارب من العراق بعد ان تعرض لحادثة غيرت حياته، ففي إحدى مهماته الحربية في الخدمة العسكرية داس على لغم أرضي نابض لكن صديقه إبراهيم قرر أن يفديه بروحه ويحيي فكرة الصداقة الحقيقية، لكنه اشترط عليه بالمقابل ان يأخذ مستمسكاته

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الثبوتية ويهرب من العراق ليعيش باسمه لأسباب يذكرها في الرواية، فتتم العملية ويهرب قاسم الذي صار إبراهيم منذ ذلك اليوم، ويعيش في لندن لسنوات طويلة إلى أن جاء اليوم الذي ذهب فيه للحصول على وظيفة وكانت الوظيفة مترجم في العراق مع الفريق الذاهب للبحث عن رفاة جنرال أنكليزي من الحرب العالمية الأولى قتل في القرية التي ولد فيها أبراهيم في مصادفة غريبة لم تخلُ من مفارقات ومغامرات لم تخطر على بال أبراهيم منذ أن غادر الغراق ولم يفكر في العودة إليه.

كانت الهوية المزدوجة التي تتصارع في نفس أبراهيم عاملاً مهماً في تشكيل بنية الرواية وتصاعد وتيرة السرد مع تنامي الأحداث وتداخل الأزمان بين استشراف المستقبل واسترجاع الماضي في سرد متناوب تشتبك فيه قضيتين؛ ثيمة الهوية وبعدها السوسيولوجي والنفسي، وتقنية الزمن وبعدها الفني والدلالي، وما ينتج عن هذا التراكب وما يتمخض عنه من نص روائي باذخ الدلالة وثري المعنى.

المبحث الثاني/ انشطار الهوية، الدوافع والمؤثرات

ينشأ الإنسان منذ ولادته بهوية واحدة يكتسبها من الأسرة والمحيط الذي يعيش فيه، لكنه بحكم الاندماج بالحياة والتفاعل مع الآخرين وامتزاج الثقافات والأيديولوجيات والتجارب الحياتية التي تكون أحياناً تجارب قاسية أو مفروضة عليه يجد نفسه في صراع هوياتي يقوده إلى انشطار هويته وازدواجها إلى نوعين قد يكونا مختلفين جذرياً في كل الجوانب أو يكون بينهما مشتركات أحياناً، تختص هذه الدراسة بتناول انشطار الهوية إلى نوعين مختلفين بصورة لافتة نجدها في شخصية قاسم أو ابراهيم المترجم في الرواية، ولغرض تسليط الضوء على الموضوع وتناوله بصورة مستفيضة لابد من الإشارة إلى الدوافع والمؤثرات التي دفعت هوية هذه الشخصية إلى الانشطار والتشظي، ويمكن إجمالها بالآتي :

١-الحروب

تمثل الحروب بيئة حاضنة لتحولات سردية عميقة تعيد تشكيل مفهوم الهوية بعيداً عن وصفه جوهراً ثابتاً إلى عده حالة سردية متخولة قابلة للتشظي والانشطار، فيصبح السرد مرآة ومعبّراً عن عطب الذات في زمن الحرب ومجالاً رحباً لإعادة التفاوض حول الانتماءات واليقين، إذ تخلخل الحرب المرجعيات الثابتة التي تقوم عليها الذات، وتفرز بالمقابل شعوراً بعدمية الوجود وحالة من اللايقين وانعدام الولاء لليقين الجمعي لذاكرة الأمة وما تأسست عليه الهوية الجمعية والفردية للأشخاص، فالصورة البشعة للحرب تحبط الحياة البشرية وتصيبها باليأس والخراب فتؤثر سلباً على الهوية الوطنية ومواضع قوتها ما يجعل المجتمعات عرضة إلى الضعف وتكوين الهوية الهشة

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ومحاولات تخريب جوهرها الوطني والإنساني (الخليل د.، ١٦-١٧ نيسان/ ٢٠٢٥)، وبرز هذا التحول في صورة الهوية وأثر الحرب عليها في الرواية قيد البحث في مواضع عديدة تتجلى فيها الصورة المقيتة للحرب وتداعياتها على الشخصية الروائية ومنها قول الراوي الذي يروي بلسان إبراهيم عن قريته وذكرياته التي تلاشت مع تبدل هويته وأوراقه الثبوتية فيقول: الحياة هنا غريبة كأننا نعيش في تفاصيل فيلم تاريخي، ربما أني نسيت طفولتي بشكل تام، خلعت ذاكرتي في اليوم الذي خلعت فيه أوراقي الثبوتية فوق جثة إبراهيم الممزقة في عام ١٩٨٥. لا أحد يعرفني هنا لا بالسوفية ولا بالمجنونة تماما، حتى أنا لا أعرف نفسي، هل أنا قاسم أم إبراهيم؟ الحياة خطرة ومزالقها لا يمكن حسابها بيسر" (الزيدي، ٢٠٢٢، صفحة ١٥٥)، يتبادر إلى ذهني وأنا أقرأ هذا الجزء من الرواية تساؤل لا أبحث له عن إجابة، هل أن تاريخ الإنسان وذاكرته طوع أمره يستحضرها حين يشاء ويتخلى عنها ويقصيها من ذهنه حين يريد ذلك؟ لا إجابة واضحة لهذا السؤال لكنني أتلمسها ما بين السطور وتبدو تجلياتها في المونولوجات التي يحدّث بها إبراهيم نفسه و يستحضر فيها هذه الأفكار، فهو يصف القرية وصف شخص لم تطأ قدمه هذا المكان من قبل وتبدو له الحياة مختلفة تماماً عن حياته ويستغرب هذا الشعور المتناقض مع تاريخه وطفولته التي عاشها في هذه القرية وكأنه انسلخ منها ولم يعد لها أثر في ذاكرته التي يقول بأنه خلعها يوم تخلى عن أوراقه الثبوتية، وتلبّس شخصية إبراهيم في أصعب أيام الحرب التي عاشها، وعقد الصداقة والتضحية الذي عقده مع إبراهيم والوعد الذي قطعه له بأن يهرب من العراق ويعيش باسمه ويدفن قاسم وهو على قيد الحياة، فقد عاش إبراهيم بهوية ممزقة تتشظى بين إبراهيم الذي يعرف به في المجتمع وقاسم الذي مازالت روحه مكبلة بقيود الوعد ونظرية الصداقة ليكون قرباناً لهذا العهد. "فالحروب لا تمثل الشعوب ولا تعبر عن إرادتها مما يؤدي إلى نشوء وظهور الهوية المزيفة وانشطار الذات الجمعية" (الخليل د.، ١٦-١٧ نيسان/ ٢٠٢٥، صفحة ٥)، إذ يحدث التشظي والانشطار في ذات الإنسان وهويته عند شعوره بالرفض وعدم الانتماء للحرب التي يخوض غمارها ويطيع قادتها بلا قناعة بجدواها، ويعبر عن هذا المضمون بسخرية لاذعة ويقول: "في الحرب عادة ما يموت المطيعون والمهذبون والمتحمسون، وينجو منها سواهم، ينجو الشطار والكذابون والمنافقون والمادحون" (الزيدي، ٢٠٢٢، صفحة ٣٦)، يفقد المقاتل فيها الإيمان بجدواها واليقين التام بالتضحية بالروح وبذلها في سبيلها تكون سبباً لانشطار الذات وتشظي الهوية، ويؤكد إبراهيم هذا المفهوم في قوله(حتى أنا لا أعرف نفسي، هل أنا قاسم أم إبراهيم؟)، فهو يعيش حالة من عبثية الحياة لفقدانه ذاته ولأنه يعيش في صراع بين

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

شخصيتين لا ينتمي إليهما فالأولى شخصية قاسم الذي خسره عندما ترك أوراقه الثبوتية على جثة إبراهيم، والثانية لإبراهيم الذي ضحى بروحه من أجله ومنحه حياة أخرى لا ينتمي إليها لكنها على أية حال خير من الموت في معركة لا يؤمن بجدواها.

٢-الهجرة وتداعياتها

تعد الهجرة من الظواهر الإنسانية القديمة قدم التاريخ، لكنها في العصر الحديث اتسمت بأبعاد جديدة برز تأثيرها بوضوح في الشخصية المهاجرة في الرواية ويتبين هذا التغيير بالطبع لأن الرواية مرآة للواقع تعكس ما يمر به أفراد المجتمع من تغييرات وظروف سوسيولوجية مؤثرة تتجلى تداعياتها في هوية الفرد وانشطارها في السياق الروائي لتيصبح الشخصية المهاجرة فضاءً خصباً لاستكشاف الصراعات النفسية والثقافية والاجتماعية وإعادة تشكيل الذات ورحلة الشخصية للتخلص من الاحساس العميق الذي تعانيه في الهجرة وهو الشعور بالاقتلاع من الجذور الذي يفضي إلى حالة من الشتات وعدم الاستقرار الوجودي، ويترسخ هذا الشعور بسبب عوامل متعددة مثل :

١-الصراع الثقافي بسبب اختلاف العادات والقيم والصدام الثقافي الذي يحدث نتيجة لهذا الاختلاف.

٢-اللغة فهي ليست وسيلة للتواصل فقط بل هي حاملة للهوية والثقافة، وأحياناً تكون اللغة الثانية قيداً وعبئاً على الشخصية.

٣-الفقد والحنين، إذ يلازم شعور النوستالجيا الشخصية الروائية ويترجم هذا الشعور بالحنين المستمر للماضي الذي يكون أحياناً عائقاً أمام الشخصية يدفعها إلى العزلة والانزواء عن المجتمع.

٤-التمييز والعنصرية الذي يعمق الشعور بوجود الآخر ويعزز انشطار الهوية وتصبح الاختلافات الجسدية والثقافية علامات تدل على الاختلاف والاستبعاد أحياناً.

وتبرز تداعيات الهجرة بشكل واضح في رواية صديقي المترجم في شخصية إبراهيم الذي هاجر مضطراً وعاش معاناة هذه الهجرة، وتتجلى هذه التداعيات بين ثنايا سطور الرواية ومنها قوله وهو يتحدث عن أصدقائه في حانة السفهاء: "الأصدقاء الندامى في حانة السفهاء يقيدون حريتي ويفرضون عليّ تقبّل أمزجة ثقيلة الظلال من بعد عشرين سنة مضت أصبحت صديقاً لروحي الثكلى. إشكو لها كل ما يدور برأسي من أفكار وحشية. أحكي لصديق الروح برهوم بهمس دافئ عن خوفي المرعب من تيه قدمي، ومن الشك القاتل، ومن هشاشة الأرض الإسفنجية تحت قدمي" (الزيدي، ٢٠٢٢، الصفحات ٤٩-٥٠)، يشكو إبراهيم من صعوبة التعايش من صعوبة التعايش مع ندمائه الذين يشعر بعدم تقبل أمزجتهم وثقل الجلوس معهم بمرور الزمن، فبدأ يؤثر الاختلاء بروح

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

صديقه برهوم ليكون صديقه الأثير الذي يهمس له بكل الهواجس التي تؤرقه منذ ذلك اليوم الذي وقف فيه على اللغم وكان قاب قوسين أو أدنى من الموت الذي احتضنه برهوم ليدفعه عن صديقه قاسم ويُكتب له النجاة والاستمرار في هذه الحياة لكن بذات مفككة وهوية منشطرة إلى شطرين بين قاسم وإبراهيم ومشاعر ثابتة منذ تلك اللحظة فالخوف والقلق والشك بصلابة الأرض التي يقف عليها، كلها مشاعر صارت ملازمة لحياة إبراهيم فقد معها الشعور الحقيقي بملذات الحياة التي افتقدها تدريجياً، فالانتقال عن الفضاء الفيزيقي والوجود الفعلي للوطن يجعل الهوية مستفزة تكمن وتظهر بوصفها استعادة لمنظومة ثقافية معينة تتباين بحسب تعاطي الذات مع الفضاء الجديد (النداوي، ٢٠٢١، صفحة ٦٤)، وهذه تحديداً المشكلة التي عانى منها إبراهيم إذ لم يستطع التعاطي مع هذا الفضاء بشكل طبيعي ولم يتمكن من مفارقة ساعته الأخيرة في أرض الوطن وما مر به من لحظات عصيبة حفرت آثارها ندوباً في روحه لم يستطع إزالتها والابتداء من جديد طوال عشرون عاماً عاشها في لندن، بل هاجر بجسده وظلت روحه عالقة بتلك اللحظة المفصلية في تاريخ حياته، تتأرجح بين الماضي والحاضر بحثاً عن هوية حقيقية يتمكن من العيش في ظلها بقناعة وانتماء حقيقي.

٣-تداخل الذوات في الشخصية الواحدة (صراع الشخصيات)

ويقصد به تعدد الذوات أو الوعي داخل الشخصية الواحدة، بحيث لا تكون (الأنا) متماسكة، بل قابلة للتعدد والتغيير عند الفرد الواحد وهذا ما اسماه الدكتور ثائر العذاري بـ (بوليفونية الصوت الواحد) في إحدى مقالاته المنشورة (العذاري، ٢٠٢٥)، وقد يكون هذا التعدد نابعاً من صراع داخلي أو تجربة وجودية، أو من تأثير الآخر أو السلطة أو البيئة على الذات المتعددة، ويظهر هذا التعدد في تقنيات سردية متعددة منها تيار الوعي أو المونولوج، ويسبب هذا التداخل انشطاراً للهوية وفقدان التماسك النفسي والثبات الوجودي فتكون الهوية غير مستقرة وقابلة للتحول والتفكك والتمزق بين الماضي والحاضر أو الذاتي والجمعي.

ويظهر تداخل الذوات في الرواية عبر مظاهر مختلفة منها التفكك السردي/ إذ يبدو السرد غير مترابط ومتعدد لا يسير على خط سردي واحد بل يكون متنوعاً بشكل يشتت القارئ فيكون بحاجة إلى كد الذهن وإشغال الذاكرة لربط الخيوط السردية والوصول إلى الحبكة ، ومن هذه المظاهر؛ انشطار الهوية وهشاشتها/ فلا نجد هوية ثابتة للشخصية في تعاملها مع الآخر "فالهوية تقتضي تمثيل الذات في نظام الآخرية المولد للتباين كما يقول هومي بابا" (الخليل د.، ٢٠٢٢، صفحة ٦١٩)، وفي هذا الإطار لابد من الخوض في متون الرواية قيد البحث واستكشاف تداخل الذوات فيها كإجراء تطبيقي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

للمفهوم، ونجد ذلك في المونولوج الذي يحدث به إبراهيم نفسه في حانة السفهاء فيقول": "غالباً ما أبعد ذاكرتي عن نبش الماضي، كي لا يصيبني الفزع من أرصفة موحشة لمحطات غادرتها ولم ألتفت إليها لكن الذكريات تتمرد، تنفلت من مداراتها المحنطة في ساعات حرجة، أعيش حالياً باسم إبراهيم صديقي على وفق الإتفاق المبرم بيننا في ساعة حرب، نعم حاولت مراراً نسيانه لأنه بصراحة يعذب ضميري الغاطس في عتمة روحي الهشة" (الزيدي، ٢٠٢٢، صفحة ٤٦)، يولد الإنسان فيُمنح اسماً لا ينفك عنه إلّا بالموت، لكن قاسم تخلى عن اسمه وهويته في اتفاق أبرمه مع صديقه إبراهيم ليتمكن من مواصلة حياته ويهرب من الموت الفاغر فاه نحوه في الحرب، ويعيش باسم إبراهيم لكنه يعاني صراعاً بينه وبين ذاته التي تتمرد أحياناً وتجوب متاهات الذاكرة وتذكره بمحطات مرعبة من الماضي الذي يحاول الهروب منه ونسيانه عبثاً لأنه راسخ في وعيه وذهنه وذاكرته المحملة بتاريخ عصي على النسيان والاندثار، ففي حانة السفهاء التي صارت الكنف الذي يلجأ إليه إبراهيم ليغيب عن حاضره وينسلخ عن ذاكرته ويوقف عجلة الزمن عن الارتداد إلى الوراء أو الجري إلى المستقبل ليعيش وقتاً بلا زمن في لحظة سكونية يحاول فيها أن يجد ذاته المنقسمة وهويته المنشطرة لكنه يراوح في مكانه بلا نتيجة فشعوره الروحي أعمق من شعوره بالزمان أو المكان الذي يحتويه .

تداخل الذوات قضية تنشأ من تأثر الفرد بالآخر وقد يكون هذا التأثر إرادياً أو قسرياً ففي الرواية تتداخل ذوات قاسم وإبراهيم في ذات واحدة تداخلاً قسرياً فرضته التجربة الوجودية بسبب الحرب، ونستدل على قسرية هذا التداخل من قول إبراهيم (أعيش حالياً باسم إبراهيم صديقي على وفق الانفاق المبرم بيننا في ساعة حرب)، فلم يكن هذا الاندماج والتداخل بمحض إرادة الشخصية بل كان مفروضاً عليها بسبب ساعة الحرب ووقوفه على اللغم الذي لم يترك له فسحة للتردد أو الرفض. أما انشطار الهوية فيعبر عن حالة من التصدع أو التعدد داخل الذات الواحدة أو الشخصية، ويتناول الصراعات الداخلية والتناقضات التي تمزق الشخصية وتجعلها تعيش هويات متضاربة ونستدل عليها في الرواية بقول إبراهيم (غالباً ما أبعد ذاكرتي عن نبش الماضي ... لكن الذكريات تتمرد تنفلت من مداراتها المحنطة في ساعات حرجة)، يستقي النص آلياته السردية من المؤثرات النفسية التي تلقي بظلالها على مسار السرد فيتمكن المتلقي من الوصول إلى المغزى من وراء هذه العبارات الدالة على ثيمة التفكك والانشطار وتصدع الهوية والتوتر النفسي الذي يخلقه هذا الجو الشعوري المحتدم في نفس الشخصية الذي يقودها إلى عالم الضياع يدفعها إلى الانزواء عن الآخر فرغبة إبراهيم في إبعاد ذاكرته تمثل هروباً من هويته الأصلية التي تخلى عنها مقابل الحصول على فرصة أخرى للحياة،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

هذا الهروب من الهوية الأم والتشبث بالهوية الجديدة يخلق مساحة متوترة تقف عندها الشخصية تنشطر فيها ذاتها وتنقسم بين ماضٍ تهرب منه، وحاضر هش لا قيمة له، هذا التصدع النفسي والاغتراب الروحي يحفز انشطار الهوية المتمخض عن تداخل الذوات وتعددها في الشخصية الروائية.

المبحث الثالث/ تفكك الزمن الدوافع والمؤثرات

يمثل تفكك الزمن الروائي أحد أبرز التحولات البنيوية التي طرأت على السرد المعاصر ونقلته من المسار الخطي التقليدي للزمن ليفتح آفاقاً جديدة أمام التجريب الفني والبناء الشكلي للرواية، ويتجلى هذا التفكك في أشكال مختلفة مثل الاسترجاع والاستباق والتشظي الزمني، فلا يقف أثر هذا التفتيت الزمني عند حدود التغير الشكلي فحسب بل يمتد ليلامس جوهر بناء الهوية في الشخصية الروائية.

يتخطى الأثر الحقيقي لتفكك الزمن بنية الرواية وصورتها الشكلية إلى إحداث انشطار جذري في الهوية السردية، لأن تشظي الأزمنة وتداخلها يصبح عاملاً مؤثراً في تشظي الهوية وانشطارها، والابتعاد عن مفهوم الهوية الثابتة المستقرة في مسار زمني واحد، فلم تعد الشخصية كياناً متجانساً يتطور على وفق خط بياني واضح بل تتجلى كفسيفساء من الذوات المتعددة، تتغير بتغير السياقات الزمنية، ويحدث هذا التشتت الزمني تآكلاً في الذاكرة السردية مما يؤدي إلى فقدان الشخصية للمرجعية الزمنية الصلبة، وتصبح الهوية عرضة للتغير والتحول، فتكون أكثر تعقيداً في الأبعاد النفسية والفلسفية، ولا يعد هذا الانشطار في الهوية ضعفاً في النص السردي، بل قوة تمنحه عمقاً ومرآة تعكس أزمة الهوية في العصر الحديث، ومجالاً رحباً ليكون النص أرضاً خصبة تتعدد فيها القراءات والتأويلات.

هناك الكثير من الدوافع والمؤثرات التي تدفع الكاتب إلى تفكيك الزمن والتلاعب بمساره الخطي ومنها :

١-هيمنة الذاكرة واستبداد الماضي :

تمثل الذاكرة الوعاء الأعمق الذي تتشكل فيه التجربة الإنسانية في سياق السرد الروائي، ولا يمكن عد الذاكرة مجرد استدعاء لأحداث الماضي وتجاربه السابقة، بل تمثل قوة محركة تسهم في بناء السرد وتشكيل الهوية، فهناك ضرب من الارتباط بالماضي يحمل سمة جوهرية في تكوين الذات وتشكيل الهوية نجد ظله واضحاً في الروح والفكر والنص المنتج (حمدان، ٢٠٠٧، صفحة ٧٢)، وتقوم الذاكرة بدور محوري في تفكيك الزمن الروائي عبر التقنيات الزمنية المختلفة، ومنها التشظي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الزمني الذي يخلخل السرد ويشوش الذاكرة، وهو نابع عادة من حالة نفسية معقدة للشخصية تكسر الزمن إلى أجزاء غير مترابطة، يحاول المتلقي تجميعها وإعادة بناء النص، فالتذكر هو الانطباع الذي تركته الأحداث وظل عالقاً في الذهن (ريكور، ٢٠٠٦، صفحة ٣٢).

نخلص إلى أن الذاكرة ليست مجرد صندوقاً للذكريات بل تمثل نسيجاً حياً وديناميا يهدف إلى إعادة تشكيل الزمن والدفع بالهوية نحو الانشطار والتعدد لغرض إثراء النص الروائي والسعي لاستكشاف الذات الإنسانية المعاصرة، ونجد في الرواية قيد البحث نماذج من النصوص التي توضح هذا المفهوم ومنها قول قاسم وهو يرد على برهوم في حوار غيبي جرى بينهما يستذكران فيه عقد الصداقة الأبدي الذي أبرماه ، فيقول قاسم: "أنت يا برهوم من ألهمني المزيد من الفوضى وروح التمرد والعبث إلى يومنا هذا، وأنا متأثر بنهجك وتفكيرك في التعامل مع الحياة والنظر إليها بازدراء حين تدفع الحياة بقصبة كما يقول الأولون. بصداقتك عثرت على نواة الكاان الزجاجي متجسداً بنبض الحياة" (الزيدي، ٢٠٢٢، الصفحات ٢٤-٢٥)، يستذكر قاسم فضل برهوم عليه ودوره في تغيير شخصيته والتحولات التي طرأت عليه بعد معرفته به، إذ يستحوذ الماضي على تفكيره ويتجلى تأثيره في وعيه وسلوكه مع الآخر فهو يصرح بأنه استلهم منه؛ روح التمرد، والفوضى، والرغبة بالعزلة ، والانكفاء عن العالم الذي يفقد الشعور بالانتماء إليه فيتعامل مع أفراده ضمن حدود لا يفكر بتجاوزها، عند الشروع بتحليل النص تقنيا وتسليط الضوء على شكله الفني يجد القارئ نفسه امام لعبة فنية يتبدل فيها الراوي ويترك المتلقي في حيرة عن الراوي الذي يوهمنا بهويته ويزيد من عامل الجذب والتشويق للاستمرار بالرواية، فالراوي هنا راوٍ ملتبس يتقمص أدوار الشخصيات ويوهمنا بأنه أعطى زمام السرد لشخصية معينة ثم ما يلبث أن يمسك بزمام السرد ويعطيه لشخصية أخرى، وغالباً كان يدير دفة السرد شخصيتي قاسم وإبراهيم، عندما كانوا أحياءً في ساحة الحرب وبعد الموت اذي كان ملتبساً عليهما، هل الذي مات شخصية قاسم أم إبراهيم، لأن أحدهما مات جسداً والآخر مات هوية وروحاً، نعود إلى هذا الجزء من الرواية ونحاول تفكيك شفراته واستنطاق عباراته، فالراوي برهوم يسعى إلى تحطيم النسق الخطي للزمن ويرتد إلى الماضي لأنه صار رهناً له لا يستطيع الخروج من قوقعته واختراق جدرانها التي تطبق على روحه، فيعود بذاكرته إلى مطارح الذكريات التي ترسخت في ذهنه ولم يتمكن من نسيانها لأنها حفرت ملامح شخصيته الجديدة في عالمه الجديد الذي لا مناص له منه، وجد قاسم نفسه بمرور الزمن وطول صحبته مع إبراهيم نسخة أخرى منه متأثراً بأفكاره، سائراً على

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

نهجه منصهراً في كيانه وهويته التي تماهى معها لاحقاً، وصار هذا الماضي حتى بعد مرور عشرين عاماً حاضراً مستمرا لا ينفك عنه متغلغلاً في بنية شخصيته.

يعلن النص عن ثيمته التي تبدو واضحة للقارئ المتمعن بما وراء السرد، المنشغل بتفكيك النصوص والكشف عن خباياها للوصول إلى متعة القراءة الواعية، إذ يبرز جلياً ارتباط قاسم بالزمن الماضي المستبد الذي يهيمن على ذاكرته ويمنهج وعيه وسلوكه بحسب ما حضر فيها من أفكار اكتسبها من صديقه الروحي برهوم حتى صار يتعامل مع الحياة بهامشية تبعده عن الخوض في غمارها والتيه في متاهاتها لأنه يشعر بلا جدوى الحياة بسبب تفتت هويته وتخبط ذاته في عالم فقد فيه بوصلة النجاة واستقلالية الذات والهوية، فصار الزمن الذي يعيشه أكثر ارتباطاً بالماضي وأفكاره، وفقد الرغبة باستشراف المستقبل والتطلع إله لأنه مقيد بذكريات الماضي ولا يستطيع الانفلات من قيوده التي تكبل أفكاره ووعيه وتمنعه من النهوض بشخصية جديدة وهوية جديدة فرضتها ظروف الحرب البشعة، فبقي منشدّاً إلى الزمن الماضي تتجاذبه رؤى وتأملات لا يستطيع الحياد عنها.

٢-الاغتراب الوجودي

لا يمثل الاغتراب الوجودي مجرد خلفية درامية للنص الروائي، بل قوة دافعة محركة للسرد، تغير من طبيعته وبنيته الفنية وتحديداً بنية الزمن، فيحوله من تيار متدفق على مسار خطي مترابط إلى مساحات مجزأة، متوقفة أو غير مترابطة تفتقد إلى الانسجام والتماسك الشكلي، فيكون الزمن مرآة تعكس أزمة الوعي البشري في مواجهة غياب المعنى واندثار الجدوى من الوجود.

ويمثل الاغتراب أزمة وجودية تضرب في صميم وعي الإنسان بذاته ومكانه في الكون فيكون هذا الشعور محفزاً ومؤثراً كبيراً يتغلغل في البنية السردية مسبباً تفكك الزمن وتشظيه، ومن هذه التأثيرات يتجلى الآتي :

١-اللا جدوى والتوقف الزمني والشعور بجمود الوقت وغياب تدفقه المعتاد في الحياة بسبب الشعور بالاغتراب عن العالم وفقدان الرغبة بالاندماج بالمجتمع.

٢-التشتت الزمني وغياب الترابط قد يتبلور الاغتراب بشكل فني آخر في الرواية وهو تشظي الزمن وانعدام الترابط بين أجزائه فيكون عبارة عن أجزاء متفرقة كل جزء يعبر عن مرحلة معينة لا علاقة لها بالسابقة.

٣-التركيز على اللحظة الآنية المفرغة، قد يمر الإنسان بتجربة معينة تكون مؤثرة ومفصلية في حياته فيشعر بأن الزمن توقف فيها فلا تعود هناك قيمة للماضي ولا رغبة في المستقبل تكون عادة

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

لحظة سكونية يملؤها ضجيج الروح لكنها خالية من الأصوات لأنها تعزل الشخصية عن عالمها فتدخل في فقاعة زمنية تتقوقع داخلها وتتكفئ على ذاتها لتعيش التجربة الوجودية فيكون الوجود مفرغاً إلا من هذه اللحظة وهذا الزمن المعيش.

٤-الذاكرة المشوهة أو المفقودة، قد تتأثر الذاكرة بشعور الاغتراب فيكون معطوبة تزيف الحقائق وتغلطها تبعاً لتأثير مشاعر الاغتراب والواقع الجديد الذي تعيشه الشخصية في عالم ممسوخ يفتقد إلى اليقين والصدق الشعوري، وقد تُسلب الذاكرة تماماً فلا يعود لها وجود فيكون الشعور الحالي كأنه بداية الوجود ولا شيء قبله.

٥-تجريد الزمن من دلالاته الثقافية والاجتماعية، إذ يفقد الزمن معناه وتصبح المناسبات والأحداث التاريخية الكبرى خالية من قيمتها الحقيقية والشعور بأهميتها في تشييد واقع الإنسان وتكامل مسيرته الحياتية.

نخلص إلى أن الشعور بالاغتراب ينقل الشخصية الروائية إلى عوالم أخرى تبعد كل البعد عن عالمه الحقيقي ويفضي ذلك إلى التحول نحو زمن جديد مغاير، إذ يخضع زمن القصة للتتابع المنطقي للأحداث بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي (لحمداني، ١٩٩١، صفحة ٧٣)، ويكون أكثر انفلاتاً عن هذا المسار الخطي عندما يتفاقم الشعور بالغربة والانعزال عن الواقع المأزوم، ويتجلى هذا الشعور في رواية صديقي المترجم في مواضع مختلفة منها قول قاسم الذي تقمص شخصية إبراهيم وجسّد هويته فيخاطبه في لحظات الهروب من العالم والفرار من ذاته الممزقة عندما يجلس في حانة السفهاء فيخاطبه ويقول: "عزيزي برهوم: إن كنت تسأل عني، فأنا الغريب الموجود حالياً في حانة السفهاء بلندن العاصمة، الموتى لا يتصلون بالهاتف عادة غير أنك تتصل بنداء خارق للعادة. النداء الذي أدندن به مع روحي الثكلى" (الزيدي، ٢٠٢٢، صفحة ٤٨). تبث الشخصية نفثات روحها في هذا الخطاب المشحون بمعان فلسفية بعيدة كل البعد عن الواقع وتعقيداته الاجتماعية فيكون الخطاب في هذا النص من قاسم إلى إبراهيم، إذ يصف قاسم نفسه بالغريب في هذا المكان الذي يعيش فيه مرغماً بعد هروبه من الحرب وتخليه عن هويته، فما يزال قاسم يعيش تلك اللحظة الخالدة في حياته ولا يشعر بالانتماء للزمن المتدفق الذي يواصل حياته فيه، ويكمن هذا الانفصال عن الواقع في ذاته المغتربة، الزاهدة عن الحياة التي تفضل التواصل مع الموتى، واللوذ إليهم والعزلة عن الأحياء والاستئناس بهم، ويتعمق هذا الخطاب الوجودي وتتعاظم دلالاته كلما أمعنّا في عبارات الشخصية واقتربنا من جوهرها، فهي تعاني من انشطار وتفكك ذاتي برز بوضوح في

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

التشظي الزمني الذي يتجلى بركود الزمن عند لحظة الموت والرغبة في الوصول إلى إبراهيم والتواصل معه، فلا أثر لانسياب الزمن وتتبعه مساره التقليدي لأن قاسم يعود بنا إلى الماضي الراسخ في ذاكرته التي استبد فيها اشتباك بين ذاتين إحداهما يعيش بها حاضر من دون ماضٍ وأخرى يربطه بها ماضٍ منقطع فقد ارتباطه به تماماً لكنه يأبى نسيانه، فهو يتواصل مع إبراهيم تواصلاً غيبياً بحسب وصفه (نداء خارق للعادة)، اتصال يريح قلبه المتعب من الحياة وروحه المثقلة بالهموم فلم تكن الحياة التي وهبها له صديقه إبراهيم كما تنماها لأن ثمنها كان باهضاً فقد عاش بهوية أخرى لا تشبهه، فكان الانعزال والاختلاء بالمفس هو الخيار الأمثل لحالته بعدما تسرب اليأس إلى روحه وامتلأت حزناً واغتراباً عن واقع تعيشه مجبرة تجاهد في سبيل البقاء على قيد الحياة فيه.

٣-المنفى الثقافي واللغوي

استقطب النفي اهتمام النقاد والروائيين بوصفه ثيمة مؤثرة في بناء وتشكيل الهوية الروائية، فالإبعاد الطوعي أو القسري ليس مجرد تغيير في المكان الفيزيقي فحسب بل يمثل تجربة عميقة تمس جوهر الهوية وتحدث شرخاً في الذاكرة.

يفضي النفي إلى حالة من فقدان الانتماء إلى السياق الثقافي الأصلي لأنه يضطر إلى التكيف والاندماج مع الثقافة الجديدة وإن بقيت عنده ملامح من ثقافته الأم، مما يولد لديه شعوراً بالازدواجية أو الانفصام، فإن "فضاء المنفى يستدعي تعيين الذات المنفية بأنها آخر" (النداوي، ٢٠٢١، صفحة ٦٣)، يبرز هذا الشعور بازدواج الذات عبر التشظي الزمني واللجوء إلى بنية زمنية غير خطية تتداخل فيها الأزمنة بين الارتداد إلى الماضي والتطلع إلى المستقبل دون ترتيب منطقي مما يشبه تداعي الأفكار في ذهن المنفي الذي تطارده ذكريات الماضي وتطلعات المستقبل بينما يعيش واقعه المشبع بالتوتر، فيولّد المنفى إحساساً بالنبذ والشعور بالمفارقة بين ما كانته وما سوف تكونه الشخصية، والصراع النفسي الذي تعيشه، ويتمخض عنه إشكالية الهوية (النداوي، ٢٠٢١، صفحة ٦٣)، ويصبح الزمن في الرواية التي تتناول المنفي مجرد وعاء مهشم تعكس شظاياه تجربة المنفي نفسه، فالروائي هنا لا يعيد ترتيب الأحداث بقدر ما يعبر عن فوضى الذاكرة وتبعثر الهوية التي تعيشها الشخصية والأزمة الوجودية العميقة التي يعاني منها الإنسان المعاصر في ظل عالم تتسارع فيه التغييرات وتتلاشى الحدود، فالأدب لا يقدم حلولا سحرية لهذه الحالة بقدر ما يحاول تسليط الضوء على هذه الأزمات ويدعونا إلى التفكير في معاني الهوية والانتماء وطبيعة الزمن الذي نعيشه وكيف يتشكل ويتحول بفعل تجاربنا الإنسانية المعقدة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

ويتجلى هذا المفهوم في رواية صديقي المترجم في قول إبراهيم وهو يتحدث عن حاله في المنفى الذي هاجر إليه فقط ليتمكن من البقاء على قيد الحياة في قوله: "فكيف يريدون مني الاندماج بنظام العمل الإنجليزي الصارم؟ تقاليد العمل المحسوبة هنا بالدقائق والثواني وأنا من بيئة وماضٍ يعملان على إيقاف آلة الزمن الوحشية بالشد القسري إلى الماضي والعواطف المجانية. من فضاء وثقافة ماضوية لا تنسجم مع ثقافة شعب من ثقافة متطلعة ومستقبلية" (الزيدي، ٢٠٢٢، الصفحات ٦٧-٦٨)، تتبلور مشاعر الغربة الموحشة والخواء الروحي الذي يعانيه إبراهيم في منفاه وهو يتحدث عن اختلاف العادات والسلوك والثقافات بين بلده وبين لندن، إذ ينبثق هذا الإحساس ويتأصل لديه عندما يقارن قيمة الوقت وصرامة التعامل معه في حياة الإنجليز عموما، وفي نظام العمل خاصة مع قيمته وأسلوب التعامل الهش معه عند العرب، فالإنجليز أكثر انضباطا وحزماً في التعامل مع الزمن عبر التطلع إلى المستقبل في سريان الوقت عليهم وعدم الرجوع إلى الماضي أو الوقوف في الحاضر، بل السعي إلى تطويع الجهود والمهارات لبناء المستقبل واستشراف طموحاته، وعلى الضد من هذه المرجعيات الثقافية فقد نشأ إبراهيم في بيئة مغايرة تميل إلى إيقاف مرور الزمن وإبقائه في عهود مضت والارتداد إلى المشاعر الوجدانية المتولدة فيها واستمالة الإنسان إلى الركود والخمول الفكري والرزوح تحت وطأة الماضي بثقله النفسي والانجرار إلى ثقافة سكونية مغرقة في واقع ماضوي مذعن لسياقات ثقافية لا يحيد عنها تفقده سمة الدينامية والتجدد والانطلاق إلى الأمام.

الخاتمة

١. تمثل الحروب إحدى العوامل الدافعة إلى انشطار الهوية الذي يقود إلى تفكك الزمن في الرواية وخاصة عندما يكون المحارب فاقداً للإيمان بجدوى هذه الحرب.

٢. تعزز الهجرة الشعور بتشظي الهوية وانشطارها وفقدان الانتماء للمكان والذات، وتركز وجود الآخر بسبب الاختلاف الثقافي واللغوي والعنصري والشعور النوستالجي الذي تفرزه الغربة.

٣. تشظي الذات وتفككها يفضي إلى تعدد الذوات في الشخصية الواحدة وانشطار الهوية والشعور بالشتات ويتجلى عبر التفكك السردي وتخلخل الزمن .

٤. تمثل تقنية تفكك الزمن واحدة من التحولات البنيوية التي غيرت من مسار الزمن والشكل التقليدي للرواية إلى الشكل الجديد والتقنيات الحديثة في بنائها.

٥. تسهم الذاكرة واسترداد الماضي في تفكيك بنية الزمن الروائي وتشكيل الهوية لأنها قوة محركة للسرد وعنصر فاعل في نقل التداعيات النفسية والشعورية للشخصية.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

٦. يلعب الشعور بالاغتراب دوراً كبيراً في تشكيل بنية الرواية ويسبب تفكك الزمن وتفتيته وتجريده من دلالاته السوسيوثقافية.

٧. يمس المنفى جوهر الهوية الإنسانية ويفضي إلى فقدان الانتماء إلى السياق الثقافي والاجتماعي للمكان والاضطرار إلى التكيف القسري والاندماج مع الثقافة الخرى

المراجع

١. أمين معلوف. (٢٠٠٤). الهويات القاتلة. تأليف أمين معلوف، الهويات القاتلة (نهلة بيضون، المترجمون). بيروت لبنان: دار الفارابي.

٢. بول ريكور. (٢٠٠٦). الزمان والسرد، الحبكة والسرد التاريخي (المجلد ط١). (سعيد الغانمي وفلاح رحيم، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

٣. تزفيطان طودوروف. (١٩٩٠). الشعرية. سلسلة المعرفة الأدبية.

٤. جيرار جينيت. (١٩٩٧). خطاب الحكاية بحث في المنهج. الهيئة العامة للمطابع الأميرية.

٥. حميد لحمداني. (١٩٩١). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

٦. د ثائر العذاري. (٢٠٢٥). صلاة القلق بوليفونية الصوت الواحد. الصباح.

٧. د سمير الخليل. (٢٠٢٢). دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي. بغداد: الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق.

٨. د. سمير الخليل. (١٦-١٧ نيسان/ ٢٠٢٥). الحروب وأثرها في تفكيك الهوية الوطنية(التشظي والضياع والأنوية). المؤتمر الدولي ذاكرة الألم في العراق. العتبة العباسية المقدسة.

٩. د. محمد جري جاسم النداوي. (٢٠٢١). إشكالية الهوية في الرواية العربية(٢٠٠١-٢٠١٣). العراق- البصرة: شهريار.

١٠. سمير الخليل. (٢٠١٥). فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب. تأليف سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب. بيروت، لبنان: دار ومكتبة البصائر.

١١. فليح خضير الزيدي. (٢٠٢٢). صديقي المترجم. حكاية.

١٢. يوسف حسين محمود حمدان. (٢٠٠٧). الهوية وتجلياتها السردية في أعمال أميل حبيبي. الجامعة الأردنية.

References

13. Amin Maalouf. (2004). Deadly Identities. Written by Amin Maalouf, Deadly Identities (Translated by Nahla Baydoun). Beirut, Lebanon: Dar Al-Farabi.

14. Paul Ricoeur. (2006). Time and Narrative: Emplotment and Historical Narrative (Vol. 1). (Translated by Saeed Al-Ghanimi and Falah Rahim). Beirut, Lebanon: United New Book House.

15. Tzvetan Todorov. (1990). Poetics. Literary Knowledge Series.

16. Gérard Genette. (1997). Narrative Discourse: An Essay in Method. General Organization for Amiri Press.
17. Hamid Lahmidani. (1991). The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism. Beirut: Arab Cultural Center for Printing, Publishing, and Distribution.
18. Dr. Thaer Al-Adhari. (2025). The Prayer of Anxiety: Polyphony of the Single Voice. Al-Sabah.
19. Dr. Samir Al-Khalil. (2022). A Dictionary of Cultural Studies and Cultural Criticism Terms. Baghdad: General Union of Writers and Authors in Iraq.
20. Dr. Samir Al-Khalil. (April 16–17, 2025). Wars and Their Impact on the Fragmentation of National Identity (Disintegration, Loss, and Egocentrism). International Conference: Memory of Pain in Iraq. Al-Abbas Holy Shrine.
21. Dr. Mohammed Jari Jassim Al-Nadawi. (2021). The Problematic of Identity in the Arabic Novel (2001–2013). Basra, Iraq: Shahryar.
22. Samir Al-Khalil. (2015). Spaces of Cultural Criticism: From Text to Discourse. Beirut, Lebanon: Dar and Library of Al-Basaer.
23. Faleh Khudair Al-Zaidi. (2022). My Translator Friend. Hikaya.
24. Yousif Hussein Mahmoud Hamdan. (2007). Identity and Its Narrative Manifestations in the Works of Emile Habibi. The University of Jordan.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ